اليتيم

للقصصي الفرنسي الكبير فرانسوا كوبيه

بقلم الأستاذ عبد اللطيف حسين الأرناؤوط

... غامت الدنيا في عينيه .. واكتنفت سحب الشقاء حياته .. وضاقت دائرة عيشه حتى كاد أن يهجر حياته .. وينتقل إلى حياة ثانية سعيدة هانئة أبدية .. شأن كل شخص يكرس وقته ويضحي بهجة عمره .. في سبيل وضع قصص وتأليف روايات .. حيث يعصر كل ما لديه من موهبة وعزيمة يقدمه إلى الجمهور كي يرضيهم .. ومن وراء هذه المهنة .. كان يرتزق ما يسد رمقه ويسكن جوع أمه وذلك مدة خمسة وعشرين عاماً . وهو لا يفتأ يكتب للصحف دون أن يبتسم له السعد . . ودون أن يحالفه الحظ ليدفعه في عداد الكتاب المرموقين والمؤلفين المعدودين. ولكنه كان يرضى بهذا اليسير ويحمد الله على نعمائه .. ويشكره على ما أسبغ عليه ..

ولم يترك الفقر بما هو عليه .. بل نشر سحابة على منزله الذي اختاره في أحد أحياء الفقراء المعوزين . . ولم يجد في حياته أحداً ليزيل عنه شبح الحاجة . . ويشاركه في حرمانه وشقائه سوى والدته العجوز التي أضناها الداء .. وأقعدها العجز

... هذه هي حياة « جان فينول » الكاتب الروائي الذي كان ينشر رواياته . لكنها لم تلق قبولا حسنا بين الجمهور . : إذ أنهم كانوا يجدونها فارغة جوفاء . . لا أثر للحياة فيها .. صامتة خرساء .. لا سبيل للعاطفة إليها . . خالية من الإبداع حتى أن رئيس تحرير أحد الصحف قال له ذات يوم : إن القراء ينكرون صدق عاطفتك . . وقوة وحيك . . وخصب خيالك . . فأرجو أن تعد قصصك ورواياتك من خيالك الواسع حتى تلبسها ثوباً

للنبات . والعرب لا يفهمون منها إلا تقاوى الشركاء في المتاع : تزايدهم فيه

٦ ـ موس وجمعه أمواس : يطلقه المحدثون ـ من باب التخفيف ـ على المومى وجمعه مواسى

٧ ـ قراءة الأعداد المركبة مع المائة فما فوق : يقرأ العرب الأعداد المركبة مع المائة فما فوق من اليمين إلى الشمال ، فيقولون نحن في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة وألف . والمحدثون يقرأونها من الشمال إلى اليمين تأثرا بلغات الغرب ، فيقولون : نحن في سنة ألف وتسعمائة وإحدى وخمسين

٨ ـ غيور : العرب يجمعون غيورا على غير . والمحدثون يجمعونه على غيورين

أما الأربعة الألفاظ التي رفضت ، فهي :

١ ـ أمجاد الأمة : يريد المحدثون بأمجاد الرجل والأمة مناقبه ومفاخره ومآثره . والعرب يريدون أشراف الناس وكرامهم

قال معالي الرئيس الأستاذ أحمد لطفي السيد باشا : هذا التعبير لا ضرورة له

وقال الدكتور إبراهيم مدكور : إن اللغة العربية غنية بالكلمات التي تؤدي هذا المعنى

٢ ـ القهوى : القياس في « مقهى » ضم الميم . ولكن المحدثين يفتحونها من باب التخفيف ، وخير منها لفظ « القهوة »

ورأى الرئيس أن تحذف هذه الكلمة لثقلها ، والاكتفاء بكلمة القهوة التي أغرت

٣ ـ العضو : سمع من المحدثين إدخال التاء على العضو ، فيقولون : فلانة عضوة في الاتحاد النسائي . قال الأستاذ أحمد العوامري بك : لا أرى إدخال تاء التأنيث على كلمة (عضو) فلماذا لا نقول : هي عضو في الاتحاد النسائي مثلا ؟

٤ ـ حفيد : يجمعه العرب على حفدة ، ويجمعه المحدثون على أحفاد

عباس خضر

قشيبا من البهجة والروعة . .

وسكت جان على مضض . . وقد تحير فيما يجيب . . إلا أنه أرسل زفرة حرى انبعثت من صميم فؤاده المكلوم . . وأخذ يحدث نفسه : إنني أعتقد بموهبتي أنها أرفع شأنا . وأعظم قدراً من أن أكون واضع روايات ومؤلف قصص لإحدى الصحف » وخرج من عند رئيس التحرير مهيض الجناح .. منكسر الخاطر . . منطوياً على نفسه .. تاركا عنان حياته للقضاء والقدر . . فلا يدري ما يخبئ له الزمان . . ولا يعلم ما يضمر عنه الغد . وظل صابرا على الأذى . مقيما على الضيم والحرمان . . حتى امتدت يد المنون إلى منزله . . وسلبت والدته من حياته فتركته وحيداً مفرداً . . لا أنيس له . ولا رفيق يشاركه لوعة حرمانه . . وعذابه . . وشقائه . .

ولم تمض مدة على وفاة والدته حتى تسرب الملل إلى نفسه . وسرى السأم في حياته .. فأحاطت عيشه هالة دكناء . . وغمرت بيته .. فإذا بالوحشة تتمثل أمام عينيه وتتراءى له عن كثب كأنها أشباح تتراقص وتزغرد لتسلب منه كسرة الخبز التي يتناولها كل يوم مرة ...

فقد الأمل ... وضاع الرجاء ... دون أن يهتدي إلى شعاع يستمد منه السعادة المسلوبة ... وكان بين حين وآخر يستلقي على مقعده ويحدث نفسه : يا إلهي .. ما هذا الشقاء البرم .. وما هذه التعاسة المدلهمة ... وما هذه الحياة الدكناء ... ألا تعساً لها . وسحقا لمن يرضخ إليها ...

وذات ليلة دخل غرفته كعادته .. متهالكا على نفسه .. يجر خطاه جرا .. وألقى نظرة على أثاثه الذي أكل الدهر عليه وشرب . وجلس وراء مقعده ليشرع في كتابة قصة للجريدة .. والتفت إلى نار المدفأة .. فرآها خامدة كحياته ... لا أثر لها وأراد أن يوقدها . . دفعاً للبرد القارس . . ووقاء من الزمهرير العاتي ... وفتش عن عود ثقاب .. فلم يجد . . وهم بالنزول لشراء علبة جديدة ولكنه تريث قليلا . . إذ طرأ على فكره أن يقترض واحدة من جارته العجوز « أم ماتيو » التي فقدت ابنتها الوحيدة بعد ما ترملت .. وخلفت طفلا لترعاه جدته العجوز

طرق جان الباب على الأم ماتيو ... ليسأل حاجته منها . . ففتحت له .. وألقى نظرة عليها فرآها وقد أضناها التعب وأنهكتها الفاقة .. ومد بصره إلى الداخل .. فشاهدها وقد جمعت فراشها .. وحزمته على ضوء شمعة ذاوية . . فبادرها : ماذا تفعلين . . وأي شيء تصنعين .. ؟! وما السبب الذي دعاك لأن تربطي الفراش .. فأجابته بعد ما طفرت الدموع من عينيها : إنك كما ترى .. لقد صممت أن أذهب .. وأرهن فراشي مقابل مبلغ .. لأني في حاجة قصوى إليه

فقال : ولكن . . ترهنين فراشك لحاجتك ؟

قالت : نعم . . إنني مرغمة على ذلك . . فقد يلفني اليوم أن شقيقتي أقعدها المرض وقد رفض قبولها في المستشفى . . لأنها لا تملك ثمن دواء . . ورأيت أن واجبي نحوها يدعوني أن أقدم إليها يد المساعدة . . فلم أجد سوى أن أرهن فراشي راضية أن أفترش الأرض . . حتى يتسنى لي أن أجمع هذا المال فأرد به فراشي . . على أن أذهب الآن . . قبل فوات الأوان . . أما الطفل فلا أدري أين أودعه ربما أعود . . فهزت الشفقة والرحمة نفس جان فترقرقت دموعه في عينيه وقال : دعي فراشك هنا . . وإنه ليسوءني أن أراك على هذه الحال . . ها هي عشرة فرنكات أقدمها إليك لتستعيني بها على شراء الدواء لشقيقتك المريضة . . اذهبي حالا الآن . . واتركي الطفل هنا . . أقوم على حراسته حتى تعودي . .

وحاولت أن تشكره على شهامته . . ولكن الكلمات ارتبكت على لسانها . . واستعصت في فمها فانفجر الدمع من عينيها . . وغادرته بعد ما عهدت إليه بطفلها . .

واستلقى جان فوق الفرش المحزومة . . وأخذ يتأمل أثاث الغرفة تارة والطفل أخرى ويناجيه بقلبه : أيها الطفل المسكين . . هذه هي جناية آبائنا . . وأمهاتنا . . يرموننا في هذه الحياة بالرغم عنا . . دون أن يأخذوا رأينا . . ولو سئلنا . لا ريب كان جوابنا . . لا . . لا نريد أن نحيا . .

ثم يعود إلى نفسه ويتساءل : ما أكثر أمثال هذا المسكين . . حيث ينتظرهم المستقبل المبهم . . ليقذفهم في مضمار شقائه . . فأي مستقبل ينتظرهم . . وأي صباح يبتسم لهم . . وأي مساء يقطب أمامهم . .

مسكين هذا الطفل . . فها هي جدته قد أنهكها طول العهد . . وقد أصبحت على حافة القبر . . تنتظر موافاة المنية بين يوم وآخر . فأى مصير سيكون لهذا المسكين . . وأى سبيل سينتظره . . علم الله . . عله يكون من هؤلاء المنبوذين . . المشردين فى أرض الله . . يتخبطون فى حضم من الجنايات . . ويتساقون فى سيل من الجرائم . . هؤلاء اللصوص الذين يودعون حياتهم بين جدران السجن فى عذاب . . وألم . . وحرمان ...

وهكذا تسلطت هذه الأفكار ... واستولت رأس جان ... فانطلقت الدموع إلى سبيلها ... وهو مطرق ساهم ... يتأمل الطفل حينا . . ويسبح فى خياله وقد خيم عليه الهدوء والسكون . . إلى أن دخلت عليه الأم « ماتيو » فوجدته على حاله يبكي ... فاستخبرته عن سبب بكائه فأجابها : لا شئ ... فكرة ألمت بى ولكنى أريد أن أقترح عليك ... عملا نقوم به سوية ... فما رأيك ...

فأجابته : حسنا تفعل ... وما هو . . ؟ ؟

قال : ماذا تقولين . . فإن ما أحصله من المال . يكفينى . . ويكفى والدة لى — لو كان لى والدة — فهل ترضين ... أن أشارك كيني العيش مع طفلك الصغير ... وبذلك نضع جل اهتمامنا فى تربية هذا الطفل ...

فصاحت الأم من أعماق فؤادها بعد ما سمعت ذلك ... وهمت أن تركع أمامه لتشكر رجولته ... وتحيي شهامته ... لكنها تمتمت بعد ما غلبها الدمع :

يالك من رجل ... تريد أن تنقذ حياة طفل برئ ...

وبعد مضى مدة من قيام هذه الأسرة على قدم من الفقر ... وساق من الفاقة ... كان خلالها جان قد أنهى روايته الجديدة التى أطلق عليها اسم « اليتيم » وما أن انتشرت بين الناس حتى نالت رواجا لا مثيل له ... وأحرزت تقديرا من جميع القراء على اختلاف ميولهم وأهوائهم ... فقد أحس كل فرد منهم بالروح الحية التى تنبض فيها ...

وفى أحد الأيام . . التقى جان برئيس تحرير الجريدة . . فبادره قائلا : إنى أرحب بك اليوم ... وأقدم لك أجل التهانى ... وأعظم التمنيات على روايتك « اليتيم » وإنى أصبحت أحد المعجبين بها ... فقد لاقت ... رواجا كبيرا فى أكثر المدن ... فإذا كتبت بعد اليوم ... قصة أو رواية ... فابعثها إلى كى أنشرها لك بكل سرور وامتنان مقابل ثمن ترضى عنه . .

ومنذ ذلك الحين حالفه الحظ . . وأقبل النجاح عليه . . وأصبح من الكتاب المرموقين فى المدينة . . بينما لم يغير منهاج حياته . وظل يعيش مع الطفل وجدته عيشة . . راضية . . هنيئة . . ترفرف عليهم السعادة والوئام . . .

دمشق — عبد اللطيف عبد الأرناؤوط

مصلحة المناجم لشئون الوقود

تقبل عطاءات بادارة مخازنها بعمارة أزوريس بقصر الدوبارة بالقاهرة عن الأعمال اللازمة لعمل تكرير البترول الأميرى بالسويس لغاية ظهر يوم

(١) ١٤ يونية ١٩٥١ عن إنشاء وإقامة مستودعات تخزين المياه البترولية

(٢) ١٩ يونية ١٩٥١ عن ردم ١٥٥٠٠ متر مكعب فى الأماكن التى ستقام عليها الأجهزة الجديدة ورصيف محطة الشحن

(٣) ٢٣ يونية ١٩٥١ بناء هيكلين على شاسيهين لسيارتين بدفورد

وتطلب كل نسخة من هذه الشروط على عرضحال دمغة فئة ثلاثين مليما نظير دفع مبلغ ٢٥٠ مليم للشروط الأولى و ١٥٠ مليم لكل من الشروط الثانية والثالثة بخلاف أجر البريد ٥٠ مليما عن كل نسخة من هذه الشروط

٨٣٤٥